**هي**

تلتفّ الدوائر حول بعضها البعض. في كلّ واحدة فتحة تؤدّي إلى الدائرة الأصغر منها. حتى تصل إلى النقطة السوداء وسط هذه المتاهة كلّها.

بعد أن أنهيت ارتشاف القهوة هذا ما رأيته في قعر الفنجان. وبدأت أشرح لمريم ما أراه. ظنّت في بادئ الأمر أنّني سوف أبصّر لنفسي وأقول لها أن طريقي ثعبان سيقتلني. لو قلت لها كذلك لما كانت نصحتني بعدما أن انتهيت من حديثي أن أزور طبيباً نفسيّاً عند انتهائي من الامتحانات.

هذه الدوائر تمثّل حصون العقل الواعي في رأسنا. وهذه النقطة في الداخل هي ما يسمّى القلب أو الروح. لا يهمّ. عندما نقع في حبّ أحدهم نفتح له الباب الأول لهذه المتاهة الطويلة. فيدخل وسط ماء جارٍ. ويحاول شيئاً فشيئاً أن يفتح الباب الذي بعده. نشعر بالخوف للمرّة الأولى. في بعض الأحيان نخاطر ونفتحها واحداً تلو الأخر فتملأها المياه. ومعظم الأوقات نتخلى عن الشخص الذي نحبّه عند أخر باب قبل أن يصل إلى الداخل. ونتعذّر أنّنا لا نشعر بالراحة بعد الآن. لكنّ الحقيقة، أو ما أراه صائباً على الأقلّ، هو خوفنا من أن يكتشف أحد الليل الذي يعيش في أضلاعنا ويخنقها في بعض الأحيان. وإذا حدث وأن فتحنا الباب لربّما نغرق وحيدين إذا تخلّى عنا هذا الشخص في هذا الوقت.

لقد كانت هذه المرّة الأولى التي حاولت أن أجرّب فيها هذا المقهى. رغم أنّ التعب كان يلبسني وأضعه مسحوقاً أسوداً تحت عينيّ. يتناسب هذا اللون مع تنورتي الكحليّة وقميصي الأبيض وشعري الأشقر المسدول على كتفي. لو عرفني "نزار قبّاني" لكان كتب عن شعري القصير وعيناي الخضراوان. وبما أنّه إباحيّ في قصائده لكتب عن التقاء الغرب والشرق في شفتاي الحمراوان، عن شقّ صدري البارز من خلال القميص الضيّق ورجلاي التي تشبه الأنهار التي تبدو من تنّورتي القصيرة.

إلّا أنّني لم أكن أودّ الرجوع إلى البيت. أمجّ سيجارةً لاختبأ من ضوضاء الشجار البارحة مع أهلي. فلقد رفضت أن أستقبل "طارق" الذي يودّ التقدّم لي. رآني للمرّة الأولى في مقهى الجامعة الساعة الحادية عشرة والنصف بعد أن تركت حصّة "علم النفس المعرفيّ". لم أنتبه له إلّا بعد ذهابه فور قيامي عن الطاولة. ذهب لصاحب المقهى وأشار إليّ. استدرت واكملت طريقي. بالرغم من أنّ منظره في البدلة العسكريّة كان ممتعاً. وددت عندها لو أنّه يمسك رأسي ويقبّلني في فمي ويسحب الهواء كلّه. ثمّ يأخذني إلى جزيرة البقر ونختبأ في سيارته ونفعل ما اشتقت اليه. ولكنّني قد كرهت الرجال بعد ذلك الأخير.

حسناً، بعد ان شرحت لمريم ما رأيت في الفنجان. رمقتني باستغراب. وقاطعنا صوت انكسار فنجان لنلتفت لنرى لون القهوة يغطيّ الطاولة كأنّه الليل الحالك والنجوم هي قطع السكرّ التي يضعها هذا الشخص الواقف أمام الطاولة. طويل القامة واسع الصدر، وعيناه بنيّتان كالشجر. نظرت إليّه فأرجعها بنظرةٍ حالمة. كأنّه كان في انتظاري كل هذا الوقت. وينتظر منّي أن أذهب لأعانقه وأقبّله حتى أشاركه كلّ هذا الفرح في عينيه كأنّه يرى في عينيّ نجوماً. صرخ فرحاً لصاحب المقهى ثم ذهب.

**هو**

-هل تتذكّرين اللعبة التي علينا أن نصل النقاط ببعضها والنقاط تكون عبارة عن أرقام حتى نحصل على صورة كاملة؟

-أي نعم، ما بها؟

-حسناً تخيّلي معي هذا.
أوّلاً الأفكار في دماغنا عن فتى أو فتاة الأحلام تشبه هذه النقاط.
ثانياً، عندما نرى شخص ما نفعله هو أنّنا نحاول أن نصل هذه النقاط ببعضها وكلّ ما اكتملت الصورة أكثر فإنّنا نحبّ الشخص بشكل أكثر وآخر.
ثالثاً، حتى تفهمي القصّة بشكل واضح. اعتبري أن هذه الأفكار تشبه النجوم في السماء والمجموعات النجميّة هي الشكل الذي نحصل عليه.
وأنا أشرح هذا الأمر كانت السماء السوداء قد نزلت على الطاولة وبدأت أرى النجوم على وجهها. ثم سرعان ما بدأ يتسرّب الظلام على قميصي الزهريّ فلم أستطع الانتظار أكثر.

لم أكنّ أود أن أقول لها أن وقوعي في حبّها لم يكن بالأمر السهل. إنّه أشبه في القفز على كوكب أخر والبحث عن العناصر الموجودة فيه وان كان صالحاً للعيش.

بحثت في عينيها الخضراء التي تختصر غابة بأكملها. كنت أودّ أن أملأ فمي بالدم الذي يختبأ في شفتيها كأنّها قد قتلت أناساً كثيرة من قبل.

كان هذا الموعد الرابع عشر، ولكنّها المرّة التي أحسست بمشاعر حقيقيّة تجاهها وهذه المرّة الأولى التي لا تبلس فيها لوناً أسودا. وهذه المرّة الثالثة التي أتت قبلي إلى المقهى. بالطبع قد أحسست بانجذاب نحوها ولكنّني كنت في كلّ مرّة أتحدّث عن الجامعة وعن صعوبتها وفي بعض الأحيان عن بعض الأشياء العلميّة التي يخبرني إيّاها صديقي الذي يختصّ بها. ربما قميصها الأبيض الذي يبرز نهديها كان أحد الأسباب أو شعرها الأشعر الذي يختصر الشمس بأكملها.
أحرجت بشكل كبير بسبب الثقب الأسود في قلبي، مسكت يدها، قبّلتها ثم عانقتها كأنّه كان العناق الأول والأخير وكانت هي نوعاً من الملائكة في يدّها سكّين. لا أريد أن ينقذني أحد. استمتعت بهذا الوجع المربك كلّه. ابتسمت ونظرت في عينيها وناديت نادل المطعم الأصلع وأخبرته أنّني وجدت في عينيها نجوماً.

أسرعت خارج المطعم، وبدأت بالركض نحو البحر. كان الهواء داخلي يمتلأ بالفراغ. أيّ شعلة الآن ستحرقني وتجعلني رماداً. بكيت. حكيت. اتّصلت بأخي وأخبرته أنّ ثقباً أسوداً يبلعني. دقائق ووصل. أقلّني في سيارته وذهب بنا إلى المغيب.

**النادل**

يعلّق عينيه في الحائط الأسود كأنّه يرى مدينةً مضيئةً.

يجلس قباله ثمّ يرخي رجليه تحت الطاولة. ينثر كتبه جانباً. تمرّ دقيقتان. يطلب منّي قهوة برازيليّة في ركوة نحاسيّة وفنجانين.

يكثر النظر في ساعته "روليكس" التي يضعها في يده اليسرى. يرمي الشارع بنظرات باردة ولكن متلهّفة كأنّه في انتظار أحدهم. لا يبدو أنّه يهتم بمن يأتي أصلاً. يمرّ الناس في عينيه، وسرعان ما يتجنّبوه كأنهم يخافوا أن يغرقوا في عينيه أو في بسمته الواسعة. الخوف من أن تبلعنا الدنيا بالفرح أو الحزن هو هاجسنا الدائم.

تطربه الموسيقى. فلا تمرّ خمسة عشر دقيقة حتى يطلب منّي أن أضع أغنيته المفضّلة "لما بدى يتثنى" على صوت "فيروز".

حفرت احدى أغانيها حفرة أخرى فيّ فلقد طلب منّي مدربّي في يوم من الأيام أن أتعلّم عزفها. هذه الحفر جعلت الهواء يمرّ فيني فبدأت التضجّر.

الحبّ هو المقطوعة التي لا أملّ من عزفها. تبدو هذه العبارة شاعريّة. أعرف كذلك. إنّ الأدب هو مبالغتنا بكلّ ما نراه. بالطبع لم أكن أعلم هذا قبل أن أقول هذه العبارة إلى صديقتي "ندى" التي أحببتها في شهر آب، السنة الفائتة.

هذا كان من أغبى القرارات التي اتّخذتها. أظنّ أيضاً أغبى من نومي عند عمّتي في "البترون".

عندما قررت الانفصال عنها، لم أعتقد أنّ الأمر بهذه السهولة. كان أشبه بالركض فوق الغيوم وفي قلبي فجوة تنزل منها الدماء حتى لوّنت السماء كلّها بلون أرجواني. لون الغروب. كان يوم سبت، بالرغم من أنّ معظم الانفصالات تحدث يوم الإثنين. ولكن ما يدرينا ما تخبئ لنا الأيام من اختفاء للقبلات والنوم العاري وحدنا. جلست على كنبتي المعتادة في القهوة ولم أودّ أن أعمل. ولا أدري لما فعلت هذا الشيء. ولكنّني سألته عن رأيه في هذا الموضوع لعلّه يعطيني نظرة مغايرة.

طلب منّي أن أحضر تفاحة وليمونتان. أتيت بهم من المطبخ وأمسكنا أطراف وشاحه الأربعة. وضع الليمونة وسط القماشة. ثم دحرج التفّاحة فدارت حولها قليلاً ثم التقطها. وضعهم جانباً ثم دحرج الليمونتان من طرف الوشاح. وصلا إلى نصفه ثم أكملا طريقهم خارجاً ووقعتا أرضاً. فتحت فميّ كأنّه الستارة عند ابتداء المسرحيّة. قطع الصمت المربك قوله أنّ ما شرحه لتوّه هو النظريّة النسبيّة للحب، وأوصاني أنّه في المرّة المقبلة اختيار من يستطيع أن ادور في فلكه أو تدور في فلكي. وخطأي كان أنّني أخترت من يشبهني في كلّ شيء، لذا كان افتراقنا سريعاً. لم أعلّم أنّ لديه إلمام بالنظريات الفيزيائية وما شابه ذلك فهو يدرس الهندسة في الجامعة العربيّة في الميناء. وليس هذا من ضمن اختصاصه. وما عرّفني أنا.

هذا السبت لم يكن على طبيعته البتّة. كان يلبس قميصاً زهرياً وربطة عنق تشبه الفراشة. لم يكن يحمل الكتب. يلبس حذاء "كونفرس" أحمر اللون. طلب منيّ تشغيل الموسيقى الكلاسيكيّة وفنجانيه القوة المعتادين.

لم أنتبه إليه حتى سمعت صوت انكسار فنجان. كنت أوصل طلب البنت التي أراها للمرّة الأولى في المحل. جمالها ملائكي. اللّون الأسود يتسلّل على الطاولة فيلبسها كانّه يليق بها. يقف ويضع قطع السكر فوقها. فتذوب شيئاً فشيئاً. بدت الفرحة على وجهه. قال لي قبل أن يرحل وتأخذه سيارة الصليب الأحمر:

"وجدّت فيها 36 نجمة".